أضواء جديدة على التواصل الحضاري بين مصر والجزيرة العربية

مؤشرات المعتقد الأوزيري في الجزيرة العربية خلال الألف الأول قبل الميلاد

د. حسني عبد الحليم عمار

استاذ مشارك، قسم الآثار بجامعة الملك سعود- كلية الآثار، جامعة القاهرة

مقدمة:

تعددت الدراسات التي تناولت موضوع التواصل الحضاري بين مصر والجزيرة العربية في العصور القديمة، والتي أكدت على عمق وثراء وتنوع تلك الصلات. والملاحظ على تلك الدراسات أنها ركزت على العلاقات التجارية، فضلاً عما تركته من تأثيرات في مجال الفنون[1]. وفي ضوء الاكتشافات الأثرية الحديثة، تحاول هذه الدراسة إلقاء مزيد من الأضواء على هذا الموضوع، ولا سيما ما يتعلق منها بالجوانب الثقافية والعقائدية. حيث كشفت الحفائر الأثرية الحديثة في بعض مواقع الجزيرة العربية عن عدد من الشواهد الأثرية التي تشير إلى وجود الثالوث الأوزيري «أوزيريس وإيزيس وحورس» في الجزيرة العربية خلال الألف الأول قبل الميلاد، مما يدل على تأثر بعض سكانها بالعقيدة الأوزيرية، فضلاً عن احتمال وجود بعض المصريين لأغراض تجارية. ففي وسط الجزيرة العربية، عُثر في موقع الفاو على تمثال للمعبود «حور با غرد- حورس الطفل» مُشكل من البرونز. كما عثر في نفس الموقع على تمثال آخر للمعبودة

(1) Saleh, A., "Some Monuments of North-Western Arabia in Ancient Egyptian Style", Bull. Of the Faculty of Arts, Cairo University 28, 1971, pp. 1-31; Saleh, A., "Arabia and the Arabs in Ancient Egyptian Records", Journal of Faculty of Archaeology, Cairo University 1978, pp.69-77;

محمد، محمد عبد القادر، "العلاقات المصرية العربية في العصور القديمة" في: **مصادر تاريخ الجزيرة العربية، دراسات تاريخ الجزيرة العربية**، الكتاب الأول، الجزء الأول، الرياض، جامعة الملك سعود، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م، ص ص ١٣ - ٣٨؛ سيد، عبد المنعم، «الأصول المصرية القديمة لبعض المظاهر الحضارية في الجزيرة العربية قبل الإسلام»، في: **دراسات تاريخ شبه الجزيرة الكتاب الثاني، الجزيرة العربية قبل الإسلام**، جامعة الملك سعود، الرياض، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م، ص ٣٥٣- ٣٨٥؛ عبد العليم، مصطفى كمال، «تجارة الجزيرة العربية مع مصر في المواد العطرية في العصرين اليوناني والروماني»، في: **دراسات تاريخ شبه الجزيرة الكتاب الثاني، الجزيرة العربية قبل الإسلام**، جامعة الملك سعود، الرياض، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م، ص ٢٠١- ٢١٣؛ صالح، عبد العزيز، «شبه الجزيرة العربية في المصادر المصرية»، **مجلة عالم الفكر**، المجلد الخامس عشر، العدد الأول؛ السعيد، سعيد بن فايز، **العلاقات الحضارية بين الجزيرة العربية ومصر في ضوء النقوش العربية القديمة**، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م؛ الذيبي، محمد، «التواصل الحضاري من خلال نقش أثري للملك رمسيس الثالث المكتشف بواحة تيماء في شمال غرب المملكة العربية السعودية»، مجلة آدوماتو، العدد السادس والعشرون، ٢٠١٢م، ص ٧- ١٨؛ الذيبي، محمد، «الرموز المنقوشة على المذبح الحجري المكعب من تيماء ودلالاته الحضارية»، **مجلة الخليج للتاريخ والآثار**، العدد السادس، ١٤٣٢ه/ ٢٠١١م، ص ٤٧- ٨٢.

إيزيس، صنع من الفخار المزجج، فضلا عن بقايا تمثالين أخرين من نفس المادة، وفي نفس الموقع، ولنفس المعبودة». كما وُجد في محافظة الزلفي بمنطقة الرياض على دلاية من البرونز على هيئة رأس ووجه أوزير. وفي محافظة العلا بشمال غرب الجزيرة العربية، عُثر على تمثال لملك يحتمل أنه كان جالساً على حجر أمه، الممثلة في هيئة المعبودة إيزيس التي ترضع طفلها. ولم يقتصر الأمر على وجود تلك الرموز الدينية، وإنما وُجدت أدلة على أن ملوك دادان، قد ظهروا في بعض تماثيلهم باللون الأسود، ربما تشبهاً بلون المعبود أوزير. كما حمل بعض سكان شمال غرب الجزيرة العربية من اللحيانيين وغيرهم أسماءً ربما ربطت بينهم وبين المعبود أوزير والمعبودة إيزيس برابطة العبودية. ولا شك أن لهذه الشواهد وغيرها العديد من الدلالات الحضارية التي تهدف هذه الدراسة إلى إلقاء الضوء عليها.

تاريخ العلاقات بين مصر والجزيرة العربية:

بفضل الموقع الجغرافي المتميز لكل من مصر والجزيرة العربية، في قلب العالم القديم، وبسبب اختلاف المناخ والمنتجات، توطدت العلاقات بين المنطقتين. ولم يكن هناك عائق في سبيل ذلك الاتصال، سواء كان ذلك برياً عن طريق شبه جزيرة سيناء، أو بحرياً عن طريق البحر الأحمر. وتشير الدراسات الأنثروبولوجية وتلك المتعلقة بعصور ما قبل التاريخ إلى أن انتقال الإنسان ما بين قارتي أفريقيا وآسيا، عن طريق سيناء هو الاحتمال الأكثر قبولاً[1] وذلك دونما استبعاد الاحتمال الآخر بانتقاله عبر مضيق باب المندب.

وأشارت دراسات الرسوم الصخرية في بعض مناطق الجزيرة العربية المؤرخة منذ الألف الرابع وحتى الألف الأول قبل الميلاد، مثل: موقع جُبَّة[2] ومنطقتي نجران

(1) Cabrera, V.M. et al., «The Arabian Peninsula: Gate for Human Migrations out of Africa or Cul-de-Sac? A Mitochondrial DNA Phylogeographic Perspective», in: The Evolution of Human Populations in Arabia, Vertebrate Paleobiology and Paleoanthropology Series, Edited by Eric Delson et al., London and New York 2009, p.84f, fig 2.

(٢) جُبَّة أحد أهم وأكبر المواقع الأثرية في منطقة حائل بالمملكة العربية السعودية، حيث يضم نقوشاً ورسومات منتشرة في جبل أم سنمان وفي الجبال القريبة منه، وقد طلبت الهيئة العامة للسياحة والآثار تسجيل الموقع الخاص بالرسوم الصخرية في جبه بمنطقة حائل في قائمة التراث العالمي لدى منظمة اليونسكو. للمزيد انظر: جارارد، أندرو، «أحوال البيئة والاستيطان في العصرين البلايستوسين والهولوسين في جبة بالنفود الكبير بشمال الجزيرة العربية» أطلال ٥، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م، ص ١٠٧-١١٧؛ السعود، عبد الله، وآخرون، «تقرير عن مسح مواقع جبة بمنطقة حائل، الموسم الأول ١٤٢٢هـ»، أطلال ١٨، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م، ص ١٢٧-١٣٧.

وعسير، إلى وجود صلة وتواصل في أسلوب التنفيذ وفي بعض موضوعاتها المصورة مع مثيلاتها في مصر القديمة[١].

كما تواصلت مصر مع المنطقة الواقعة بين شمال غرب الجزيرة وجنوب بلاد الشام خلال عصر ما قبل الأسرات (٤٠٠٠-٣١٠٠ق.م). حيث أثبتت المسوحات الأثرية في شمال غرب الجزيرة العربية، وبالتحديد في منطقة أرض مدين ووادي شرمة على وجه الخصوص، أنها كانت بمثابة حلقة الوصل الحضاري بين السومريين في جنوب وادي الرافدين وبين المصريين في وادي النيل منذ عصر ما قبل الأسرات[٢].

وقد توطَّدت تلك العلاقات خلال العصور التاريخية القديمة، وبخاصة منذ عصر الدولة القديمة (٢٦٨٧-٢١٩٠ق.م) [٣]. وهناك اتجاه بين الباحثين إلى اعتبار جنوب غرب الجزيرة العربية وما يقابلها في شواطئ أفريقيا، هي المنطقة التي أطلق عليها المصريون القدماء اسم «أرض بونت» واسم «تا نثر» أي أرض الإله، والتي كانوا يجلبون منها البخور والمر واللبان والصمغ لأداء طقوس المعابد وتأمين ضرورات التحنيط وشعائر الدفن، وذلك في مقايضة أهلها بالمصنوعات المصرية التي تروج بينهم وترضي أذواقهم من خلال التبادل التجاري[٤]. فقد أرسل الملك «ساحورع» من الأسرة الخامسة، بعثة إلى بلاد بونت، حيث سجل البضائع التي جُلبت منها على معبده في أبوصير، وورد ذكر هذه البعثة على حجر بالرمو[٥]. واستمر إرسال البعثات المصرية

(١) عبد النعيم، محمد، آثار ما قبل التاريخ وفجره في شبه الجزيرة العربية، الجزء الأول، المملكة العربية السعودية، ترجمة: عبد الرحيم محمد خبير، الرياض، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م، ص ٢٨٣- ٢٨٤، ٣٠٧، ٤٢٦.

(٢) الناضوري، رشيد، «حول أرض مدين من حيث تحديد موقعها ودورها التاريخي المبكر»، في: دراسات **تاريخ الجزيرة العربية، الكتاب الثاني، الجزيرة العربية قبل الإسلام**، جامعة الملك سعود ، الرياض، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤ م ، ص٣٧.

(3) Verner, M., «Old Kingdom: An Overview», in: The Oxford Encyclopedia of Ancient Egypt II, Edited by Donald Redford, Oxford 2001, p. 585.

(٤) صالح، عبد العزيز، **الشرق الأدنى القديم، مصر والعراق**، الجزء الأول، القاهرة، ٢٠٠٤م ، ص ٣٩١؛
Naville, E., Deir El Bahri Vol. II, 11; Saleh, A., «Some Problems Relating to the PWENT Reliefs at Deir El-Bahri» JEA 58, 1972, pp. 140-153؛

شايف، عبد الحكيم، «البحث عن بلاد بونت»، **الإكليل** ١٤، صنعاء، ٢٠١٢ م ، ص ص ١٥٠- ١٨٣.

(٥) آدم، شحاتة، **الرحلات والبعثات براً وبحراً في مصر الفرعونية منذ أقدم العصور حتى نهاية الدولة الوسطى**، رسالة دكتوراه، جامعة القاهرة، ١٩٦٦ م، ص ١٤٧.

لبلاد بونت خلال عصر الدولة الوسطى في عهد كل من الملك «منتو حتب الرابع»[١] و«سنوسرت الأول»[٢] و«أمنمحات الثاني»[٣].

وفي عصر الدولة الحديثة (١٥٦٩- ١٠٧٦ق.م)، والذي يُعدُّ عصر الانفتاح المصري على العالم الخارجي[٤]، تعددت الشواهد الأثرية على استمرار توافد البعثات التجارية المصرية نحو بلاد بونت، ولعل أشهرها البعثتين الشهيرتين الأولى من عهد الملكة «حتشبسوت» والمصورة على جدران معبدها بالدير البحري[٥]، والثانية في العام ٣٢ من حكم الملك «تحتمس الثالث» (حوالي ١٤٥٨ ق.م)، حيث سجل نص مصري وصول وفد من تجار «الجنبتيين». وقد ذكر المؤرخون الإغريق والرومان فيما بعد أن «الجنبتيين» كانوا من العرب القتبانيين استوطنوا في جنوب غرب شبه الجزيرة العربية[٦]. وليس من المستبعد أن بعض التجار ذوي الملامح السامية الذين ظهروا في الفنون المصرية كانوا من سكان السواحل العربية لشمال الجزيرة العربية، وأنهم قاموا بدور الوساطة التجارية بين جنوب الجزيرة العربية ومصر، ولا يُستبعد أن ما قام به «الجنبتيون» من تعامل تجاري مع مصر في ذلك الزمن البعيد، كانت تقوم بمثله قبائل عربية أخرى، ربما لم يُكشف عن أسمائها بعد[٧]. ولعل العُثور على ختم في هيئة جعران من عهد الملك أمنحتب الثاني في مأرب، يحمل أهمية خاصة حيث يعود تاريخه إلى مرحلة سابقة على نشأة الممالك العربية الجنوبية، مما يدل على أن العلاقات التجارية كانت قائمة بين مصر وجنوب الجزيرة العربية منذ عصور سابقة على نشأة تلك الممالك، التي ظهرت

(1) Groom, N., «Trade, Incense and Perfume» in :queen of Sheba, the British Museum, John Simpson, Spain 2002, p. 88f.

(٢) بركات، أبو العيون، «بونت بين المصادر المصرية واليمنية القديمة»، **اليمن الجديد** ٢٤، وزارة الإعلام والثقافة، صنعاء، ١٩٨٧م، ص ٨٦.

(٣) آدم، شحاتة، **الرحلات والبعثات براً وبحراً في مصر الفرعونية منذ أقدم العصور حتى نهاية الدولة الوسطى**، ص ١٦٢.

(4) Murnane, W.J., «New Kingdom: An Overview»,: The Oxford Encyclopedia of Ancient Egypt II, Edited by Donald Redford, Oxford 2001, p. 519.

(5) Saleh , A., «Some Problems Relating to the PWENT Reliefs at Deir El-Bahri», pp.140-158; Dixon, D. M. The Transplantation of Punt Incense Trees in Egypt, JEA, 55, (1969), pp.55-65;

صالح، عبد العزيز، **الشرق الأدنى القديم**، ص ص ٨٠٣-٩٠٣.

(6) Saleh , A.,The «Gnbtyw» of Thutmosis III 's Annals Writers , BIFAO, vol. lxxii, 1972, pp.245-262.

(٧) صالح، عبد العزيز، **تاريخ شبه الجزيرة العربية في عصورها القديمة**، ص ٣٩-٤٠.

مع بدايات الألف الأول قبل الميلاد[١].

واكتسب اكتشاف اسم رمسيس الثالث منقوشاً على واجهة صخرية بالقرب من تيماء أهمية خاصة، كونه فريداً من نوعه، حيث لم يُعثر على أسماء ملكية أخرى من مصر القديمة منقوشة على الصخور في أي مكان آخر بالجزيرة العربية في حدود ما هو معلوم حتى الآن. وهو يدل على ازدياد أهمية تيماء كمحطة تجارية بالنسبة لمصر خلال عهد رمسيس الثالث، بوصفها ملتقى لطرق التجارة بين مناطق الجزيرة العربية من ناحية، وبين مناطق الشرق الأدنى من ناحية أخرى. وكانت مصر خلال عهد رمسيس الثالث تتعرض لمشكلات وتهديدات خارجية، من أهمها هجمات شعوب البحر. فهل يمكن أن يُؤخذ وجود اسم رمسيس الثالث في تيماء، على أنه دليل على رغبة الملك وأتباعه في الوصول إلى هذه الأماكن من الجزيرة العربية، والتواصل المباشر مع سكانها؟[٢]. وربما انعكس ذلك الاتصال المباشر بين مصر والجزيرة العربية في ظهور الجمل بشكل واضح في بعض أعمال الفنون التشكيلية المصرية صغيرة الحجم خلال عصر الدولة الحديثة[٣].

وقد ظهر التواصل الحضاري بدرجة واضحة منذ نهايات الألف الثاني قبل الميلاد. اتضح ذلك بشكل جلي من خلال تتبع أصول الكتابات العربية القديمة، والتي رجحت أغلب البحوث المتخصصة في نشأتها وتطورها، على أنها مشتقة من الخط الفينيقي، والمشتق بدوره من الخط السينائي المتطور عن الكتابة المصرية القديمة[٤].

---

(١) فخري، أحمد، **رحلة أثرية إلى إليمن**، ترجمة: هنري رياض، ويوسف محمد عبد الله، مراجعة عبد الحليم نور الدين، صنعاء، ١٩٨٨م، ص ص ١٦٠- ١٦٢.

(٢) الذيبي، محمد بن عائل، «التواصل الحضاري من خلال نقش أثري للملك رمسيس الثالث المكتشف بواحة تيماء في شمال غرب المملكة العربية السعودية»، **أدوماتو**، ٦٢، ٢١٠٢م، ص ٥١.

(3) Free, J., «Abraham's Camels», JNES 3, 1944, p.188f; Bisson de la Roque, M.F., «Raport sur les Fouilles de Médamoud», FIFAo 7, 1929, p.56; Petrie, F., Gizeh and Rifeh, London 1907, p.23, pl.27; Mariette, A., Abydos II, pl.40; Midant-Reynes, B. and Braunstein-Slvester, F., «Le Chameau en Égypte», Or 46, Fasc.3, 1977, p.350;

(٤) قارن: الذييب، سليمان، **الكتابة في الشرق الأدنى القديم من الرمز إلى الأبجدية**، الدار العربية للموسوعات، بيروت ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م، ص ٩٣ وما بعدها؛ السعيد، سعيد؛ والمنيف، عبدالله، **حضارة الكتابة**، مكتبة الملك عبد العزيز، الرياض، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٠م؛ عبد المنعم عبد الحليم سيد، «الأصول المصرية القديمة لبعض المظاهر الحضارية في الجزيرة العربية قبل الإسلام»، في: **دراسات تاريخ الجزيرة العربية، الكتاب الثاني، الجزيرة العربية قبل الإسلام**، الرياض، ١٩٨٤م، ص ص ٣٥٦- ٣٦٢؛ سيد فرج راشد، «تطور الأبجدية في الشرق الأدنى القديم»، **دراسات في الآثار، الكتاب الأول**، قسم الآثار والمتاحف بجامعة الملك سعود، ١٩٩٢م ، ص ص ١٦١- ١٦٧.

بل إن هناك من يرى أن الخط الثمودي، وهو أحد أكثر الخطوط العربية القديمة انتشاراً، قد تطور عن الكتابة السينائية مباشرةً، حيث دلت الحفائر الحديثة في موقع قُرَيَّة (ضمن أرض مدين) أنها كانت على اتصال وثيق بحضارة وادي النيل، وهناك اتجاه إلى اعتبارها حلقة الوصل بين الكتابة السينائية المبكرة والكتابة الثمودية في شمال الجزيرة العربية[١]. كما تشابهت العديد من القواعد والتراكيب اللغوية في اللغتين القديمتين المصرية والعربية، فضلاً عن تشابه أعداد كبيرة من مفردات اللغتين في اللفظ والمعنى[٢].

ويؤكد على استمرار أهمية الجزيرة العربية في العصر الهيلينستي، أنها أصبحت تُعرف باسم أرض المواد العطرية (Aromataphoros Chora). وقد عُثر في سقارة بمصر على تابوت عليه نص مكتوب لتاجر معيني اسمه "زيد إيل بن زيد" من عهد الملك بطلميوس الثاني[٣]، والذي أصبح كاهناً في أحد المعابد المصرية، وقد قام هذا التاجر الكاهن باستيراد كميات من المر والبخور بسفينة كان يمتلكها مقابل نوع من المنسوجات كانت تصنع في المعبد الذي يعمل به[٤].

الثالوث الأوزيري في مصر القديمة:

تُعد فكرة «الثالوث» ظاهرة أساسية في الديانة المصرية القديمة، تَمثَّل فيها المصريون الروابط الأسرية من الأبوة والأمومة والبُنوَّة. حيث اعتقدوا أن لأربابهم حياة تشبه حياة البشر إلى حد كبير في التزاوج والتناسل. والثالوث عبارة عن أسرة مكونة من أب وأم وابن، وذلك على شاكلة الأسرة البشرية، التي ترمز إلى استمرارية الحياة. كما رأى المصريون في الثالوث، أو الثلاثة، رمزاً للتعبير عن الجمع. وقد استمرت

(1) Mendenhall, G.E., «Qurayya and the Midianites», in: Studies in the History of Arabia, vol. II, Pre- Islamic Arabia, Riyadh 1984, pp.137- 144.

(٢) صالح، عبد العزيز، «شبه الجزيرة العربية في المصادر المصرية القديمة»، **عالم الفكر**، المجلد الخامس عشر، العدد الأول، الكويت، ١٩٧٠م، ص ص ٢٩٤-٢٩٧؛ شفيق علام، «بعض العوامل الحضارية التي وصلت مصر من البلاد الشرقية في عصر فجر التاريخ»، **دراسات تاريخ الجزيرة العربية، الكتاب الثاني، الجزيرة العربية قبل الإسلام**، جامعة الملك سعود، ١٩٨٤م، ص ٣٣٣- ٣٣٤؛ خشيم، علي فهمي، **البرهان على عروبة اللغة المصرية القديمة**، مركز الحضارة العربية، القاهرة، ٢٠٠٧م.

(3) Vittmann, Günter, Ègypten und die Fremden im ersten Vorchristlichen Jahrtausend, Kulturgeschichte der Antiken Welt 97, Mainz Am Rhein 2003, 184, abb .93-94.

(٤) عبد العليم، مصطفى كمال، «تجارة الجزيرة العربية مع مصر في المواد العطرية في العصرين اليوناني والروماني» في: **دراسات تاريخ الجزيرة العربية، الكتاب الثاني، الجزيرة العربية قبل الإسلام**، الرياض، ١٩٨٤م، ص ٢٠٢.

هذه الظاهرة طوال التاريخ المصري القديم، وحتى العصر اليوناني الروماني. وكان الثالوث الأوزيري، المكون من الأب أوزير، والزوجة إيزيس، والابن حور، أكثرها شهرة وشيوعاً[١].

كانت عبادة الثالوث الأوزيري من أقدم العبادات المصرية القديمة التي ظهرت بوادرها منذ بدايات العصور التاريخية، إن لم يكن قبل ذلك في أواخر عصر ما قبل الأسرات ولاسيما ما يختص منها بالمعبود حور. وانتشرت عبادة الثالوث الأوزيري في معظم ربوع الأرض المصرية، واستمرت حتى العصر اليوناني الروماني، حيث أصبح أوزير حاب (أوزير أبيس= سيرابيس) هو الإله الرئيسي لمملكة البطالمة، كما أصبحت إيزيس وحوربوقراط في مقدمة المعبودات خلال ذلك العصر[٢]، ولذا أصبحت الأيمان الرسمية تُعقد «باسم سيرابيس وإيزيس والآلهة الأخرى»[٣].

وأوزير هو إله البعث والحساب عند قدماء المصريين، كما أنه كان رئيس محكمة الموتى عندهم[٤]. وهو يُعدُّ من أكثر المعبودات المصرية القديمة شهرةً وانتشاراً في ربوع الأرض المصرية، كما أنه كان أكثرها شعبيةً، حيث تعبَّدت له كل طبقات المجتمع سواءً كانوا حكاماً أم محكومين، كما كان الموتى يتلقبون باسمه تيمناً وتبركاً، عسى أن يكونوا من المكرمين في المحاكمة في عالم الآخرة[٥].

وقد اعتُبرت الأسطورة الأوزيرية تجسيدًا لدورة الحياة، كما كانت وجهاً آخر لدورة الطبيعة، التي تتجدد وتستمر من خلال بعث أوزير. لذا فهو يُجسد الحياة والموت، ويُجسد دورة الزمن التي إذا ما توقفت ولم يتم بعثه، توقف نظام الكون وانتهت الحياة على الأرض. وكان للأسطورة الأوزيرية مكانة متميزة في العقيدة المصرية القديمة، كما

(1) Sales, José das Candeias, "Divine triads of ancient Egypt", Hathor: Studies of Egyptology 1, 2012, pp. 115-135.

(٢) تشيرني، ياروسلاف، **الديانة المصرية القديمة**، ترجمة: أحمد قدري، المجلس الأعلى للآثار، القاهرة، ١٩٨٧م، ص ٢٠٠.

(3) Urk. I, 84

(4) Van Blerk, N.J., The Concept of Law and Justice in Ancient Egypt, With Specific Reference to the Tale of Eloquent Peasant, MA, University of South Africa 2006, Fig. p.107.

(5) Griffith, J.G., "Osiris", in: The Oxford Encyclopedia of Ancient Egypt II, Edited by Donald Redford, Oxford 2001, pp. 615-619.

ارتبطت بالزمن والأبدية، واستمرارية الكون[١]، حيث كان المعبود أوزير حاكم الأبدية ورب الغرب، كما لُقِّب ب «خنتى أمنتيو» أي إمام الغربيين[٢]. وكان أوزير واهب الحياة لجميع الكائنات، لأنه القوى الكامنة في الأرض التي تمنحها الحياة، فينمو النبات، وتُحصد المحاصيل التي تعيش عليها جميع الكائنات. كما كان مصدرًا لخصوبة أرض مصر السوداء حيث ارتبط بالفيضان[٣].

وكانت **إيزيس** واحدة من أشهر المعبودات المصرية، وأكثرها انتشاراً داخل وخارج حدود مصر، إذ وجدت دلائل لعبادتها في اليونان، وإيطاليا، وغرب أوروبا. وكانت هذه المعبودة رمزاً للخير والعطاء والأمومة، وتُعد إحدى أكثر الربات تأثيراً في العقائد المصرية القديمة حتى نهاية العصر اليوناني الروماني[٤]. ولعبت إيزيس دوراً هاماً في الأسطورة الأوزيرية كزوجة وحامية لأوزير، في قصة صراعه على الحكم مع أخيه المعبود ست. كما أن بحثها عن جسد زوجها، وجمعها لأجزائه، وحملها في حورس وولادته، ليصبح الوريث الشرعي في حكم مصر، يُعدُّ الدور الرئيس لإيزيس في هذه الأسطورة، وهو الذي بُنيت عليه أغلب أدوارها الأخرى. كما اعتبرت إيزيس ونفتيس كربتين حاميتين للمتوفى في العالم الآخر. وعادة ما تُصوران وهما تحيطان المتوفى بجناحيهما لحمايته، وقد أصبحت إيزيس أكثر أرباب الحماية شهرة [٥].

وقد انتشرت عبادة إيزيس بشكل كبير عبر العصور التاريخية القديمة، وامتدت كذلك في بعض الأقطار المجاورة. فقد وجد معبد لها في ميناء جبيل بلبنان. وامتدت عبادتها في بلاد اليونان، وشاعت عبادتها حيث خُصص معبد لها في «أثينا». وانتشرت عبادتها بعد ذلك في مختلف أرجاء الإمبراطورية الرومانية، بل وفي روما نفسها[٦].

(1) Mojsov, B.,Osiris: Death and Afterlife of a God, Oxford 2005, pp. 1-9.
(2) Ibid., p. xvi.
(3) Cavalli, T.F., Embodying Osiris: The Secrets of Alchemical Transformation, USA 2010, p.32.
(4) Lesko, B.S., The Great Goddesses of Egypt, University of Oklahoma 1999, p.185; cf. Donalson, M.D., The cult of Isis in the Roman Empire, E. Mellen Press 2003; Colazilli, A., "The worship of Isis and Serapis in Nomentum (Rome): some epigraphic and archaeological evidence", Journal of Ancient Egyptian Interconnections 6 (2), 2014, pp. 1-9.
(5) Griffiths, J., «Isis» in: The Oxford Encyclopedia of Ancient Egypt II, Edited by Donald Redford, Oxford 2001, pp.188ff.

(٦) تشيرني، ياروسلاف، **الديانة المصرية القديمة**، ص ص ٢٠٢- ٢٠٢.

واستمرت عبادة إيزيس في أقصى جنوب مصر في «فيله» إلى أواسط القرن الخامس الميلادي حتى بعد أن أصبحت المسيحية ديناً رسمياً للإمبراطورية الرومانية، والتي كانت مصر واقعة تحت سيطرتها[١].

ويُعدُّ المعبود **حور** أحد أهم وأقدم المعبودات المصرية على الإطلاق، وارتبط بالملكية وشرعية الحكم، باعتباره الوريث الشرعي لأبيه أوزير[٢]. وعلى ذلك فإن الملك كان يعتبر هو حور على الأرض، أو ممثلاً له على عرش مصر. كما أن الزعماء الذين أتموا توحيد مصر في أواخر عصر ما قبل الأسرات، اتخذوا من الصقر حور شعاراً لهم، ولذا أُطلق عليهم «شمسو حر» بمعنى أتباع حور. ويدل اللقب الحوري، وهو أقدم الألقاب الملكية الخمسة، على الارتباط القوي بين المعبود حور والملكية في مصر القديمة[٣].

وقد عُبد حور في هيئة الصقر. وكإبن لإيزيس، صُور عادة في هيئة طفل أو شاب، وعادةً ما يُصوَّر أيضاً في هيئة آدمية برأس صقر، ويضع التاج المزدوج للدلالة على الملكية ووراثة العرش. وانتشرت عبادته أيضاً في شمال مصر وجنوبها، واستمر ذلك حتى العصر البطلمي. ويُعدُّ حور با غرد «حور الطفل» أحد صور المعبود «حور»، والذي استمرت عبادته وانتشرت في الحضارتين اليونانية الرومانية باسم حربوقراط «هاربوكراتيس»، والذي كان عضواً في ثالوث الإسكندرية (سِرابيس، إيزيس، هاربوكراتيس).

شواهد وجود المعتقد الأوزيري في الجزيرة العربية:

انتشرت العقائد المصرية القديمة في بعض دول الجوار نتيجة الاتصال بين المصريين من ناحية والشعوب المجاورة من ناحية أخرى، سواء كان هذا الاتصال قائماً على التبادل التجاري بين الطرفين، أو نتيجة لامتداد النفوذ المصري خارج حدود الدولة المصرية. وقد ظهرت هذه التأثيرات في مناطق الشرق الأدنى لاسيما بلاد الشام، فضلاً

(١) إرمان، أدولف، **ديانة مصر القديمة**، ترجمة: عبد المنعم أبو بكر، أنور شكري، ص ص ٣٩٧- ٣٩٨.

(2) Meltzer, E.S., «Horus», in: The Oxford Encyclopedia of Ancient Egypt II, Edited by Donald Redford, Oxford 2001, pp. 119ff.

(3) Wilkinson, R., «The Horus Name and the Form and significance of the Serekh in the Royal Egyptian Titulary», JSSEA 15, 1985, 98-104; Dreyer, G., Um el-Qaab I: Das Prädynastische Königs grabe U-j und Seine Frühen Schriftzeugnisse, Kairo 1998; Leprohon, R.J., «Titulary» in: The Oxford Encyclopedia of Ancient Egypt III, Edited by Donald Redford, Oxford 2001, p.409.

عن المناطق الواقعة إلى الجنوب من مصر وبعض مناطق الشمال الأفريقي[١].

وكانت الأسطورة الأوزيرية من أهم العقائد المصرية التي انتشرت خارج حدود الدولة المصرية مع اتساع علاقات المصريين بجيرانهم، ربما لما تحمله في طياتها من صفات:

- العدل والخلود (المتمثل في أوزير).
- الوفاء والإخلاص للزوج وحب الإبن (المتمثل في إيزيس).
- المطالبة بالحق وانتصار الخير على الشر (المتمثل في حور).

وكانت الجزيرة العربية واحدة من المناطق التي ظهر بها مؤشرات على وجود المعتقد الأوزيري. وقد اتضح ذلك في أكثر من موقع من مواقعها الأثرية، وفي أكثر من مملكة من ممالكها القديمة. ويمكن تصنيف الشواهد الأثرية على هذا التواجد إلى قسمين: يتعلق الأول منهما بالشواهد الأثرية الفنية، بينما يتعلق الثاني بالنصوص والكتابات القديمة.

أولاً: الشواهد الأثرية الفنية:

حجر مكعب من تيماء[٢]: يُعدُّ هذا الحجر، والمؤرخ بمنتصف القرن السادس قبل الميلاد، من أهم الآثار التي تدل على وجود اتصال حضاري بين شمال غرب الجزيرة العربية ومصر. ويبدو التواجد الأوزيري عليه جلياً في أسلوب تصوير قرص الشمس بين قرني الثور وتنفيذه بالأسلوب المصري من زاويتين أمامية وجانبية، رمزاً للمعبود «أوزير حاب»، الذي أصبح في العصر اليوناني الروماني «أوزير أبيس»[٣]. إضافة إلى قرص الشمس المجنح، أحد أهم العناصر الفنية ذات الدلالات الدينية المصرية،

(١) إرمان، أدولف، **ديانة مصر القديمة**، ص ٣٨٦ وما بعدها؛ الحويلي، سليمان، **مصر وبلاد الساحل الفينيقي خلال عصر الدولة الحديثة، دراسة أثرية حضارية**، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة القاهرة، ٢٠٠٠م، ص ص ٢٤٠- ٢٤٣.

(٢) كانت واحة تيماء نهاية الألف الثاني وخلال الألف الأول قبل الميلاد إحدى المدن الهامة في شمال غرب الجزيرة العربية، حيث تمثل البوابة الشمالية للجزيرة العربية، وسوقاً رئيسية لتبادل السلع بين تجار بلاد النيل، وبلاد الشام وبلاد الرافدين. عن تيماء: الأنصاري، عبد الرحمن الطيب، وابو الحسن، حسين، **تيماء ملتقى الحضارات**، سلسلة قرى ظاهرة على طريق البخور: ٢، دار القوافل للنشر والتوزيع، الرياض، ٢٠٠٢م؛ أبو درك، حامد، **مقدمة عن آثار تيماء**، الطبعة الأولى، مطبوعات الإدارة العامة للآثار والمتاحف، الرياض، ١٩٨٦م.

(٣) الذيبي، محمد بن عائل، «الرموز المنقوشة على المذبح الحجري المكعب من تيماء ودلالاته الحضارية»، ص ص ٤٧- ٨٢.

والمرتبطة بتجدد الحياة والبعث والحماية (لوحة ٢). وجدير بالذكر أن هذا الحجر يعبر بصورة واضحة عن الدور الذي قامت به تيماء في العصور القديمة كملتقى لطرق القوافل التجارية، حيث جمعت عناصره الفنية بين الملامح والعناصر الفنية المحلية في الجزيرة العربية، وبعض التأثيرات من بلاد الرافدين، فضلاً عن العناصر الفنية المصرية القديمة سابقة الذكر.

تمثال من البروز من دادان (الخريبة): تمثال لملك جالس مرتدياً لباس الرأس المعروف بالنمس، ويعلوه تاج مزدوج، تحطم جزءه العلوي. تتفق ملامح التمثال مع العصرين المتأخر والبطلمي في مصر، ولاسيما فيما يتعلق بتشكيل الفم والشفتين (لوحة ٣). التمثال جيد التشكيل، والوجه ممتلئ، والملامح بارزة وواضحة، والذراع الأيمن مكسور، واليد اليسرى على الركبة. ووضعية التمثال وحجمه الصغير (ارتفاعه ١٠سم) يدلان على أنه يُمثِّل جزءً من تمثال ثنائي، ربما يصور ملكاً شاباً على حجر أمه التي كانت تجلس على العرش. وهي عادة ما كانت تمثل في هيئة المعبودة إيزيس. وإذا صحَّ ذلك الفرض، فالتمثال في حالته الأولى كان يُمثِّل المعبودة إيزيس وابنها حور الممثل في هيئة الملك الطفل الذي يجلس على حِجر أمه[١]. وقد ظهر بعض الملوك في تماثيلهم جالسين على حجر أمهاتهن منذ أواخر عصر الدولة القديمة، حيث مُثِّل الملك بيبي الثاني (الأسرة السادسة) جالساً على حجر أمه الملكة «عنخ إن إس مري رع» في تمثاله المحفوظ في متحف بروكلين (١١٩ , ٣٩)[٢]. كما صُوِّر المعبود حور باغرد (حور الطفل) جالساً على حجر أمه المعبودة إيزيس، ولكنه يضع سبابة اليد اليمنى في فمه. وجدير بالذكر أن المصريين شكلوا العديد من الصور والتماثيل التي تُصوِّر المعبودة إيزيس تُرضع ابنها حور من ثديها. كما صوَّروا إيزيس باعتبارها الأم الملكية بوصفها زوجة لأوزير وأماً لحور. وكان لكتابة اسمها بالعلامة التصويرية التي تُمثِّل كرسي العرش، أن أصبحت أيضاً ذات صلة قوية مع الملك، بوصفها تجسيداً لقوة العرش[٣].

(1) Saleh, A., «Some Monuments of North-Western Arabia in Ancient Egyptian Style», Bull. Of the Faculty of Arts, Cairo University 28, 1971, pp.9-10, fig. 4a-b.

(2) Robins, G., The Art of Ancient Egypt, Harvard University 2008 , p. 67; Capel, A.K. and Markoe, G., Mistress of the House, Mistress of Heaven: Women in Ancient Egypt, Brooklyn Museum 1996, p.29, fig.6.

(٣) نور الدين، عبد الحليم، **الديانة المصرية القديمة، الجزء الأول، المعبودات**، القاهرة ٢٠٠٩م ، ص١١٦-١١٧؛
cf. Allen, James P.. «The name of Osiris and Isis», Lingua Aegyptia 21, 2013, pp. 9-14.

دلالة تلوين بعض تماثيل ملوك لحيان باللون الأسود: احتفظت بعض التماثيل اللحيانية (لوحة ٤)[١]، ولاسيَّما ما يخص منها الملوك، والمؤرخة بالقرنين الرابع والثالث قبل الميلاد، ببقايا دلت على أنها كانت ملونة. فقد استُخدم الجص الأبيض لتلوين الرداء القصير لأغلب التماثيل. واحتفظ أحد التماثيل ببقايا اللون الأبيض للجزء العلوي العاري من الجسد. كما غطت بعض التماثيل بطبقة من القطران لإضفاء اللون الأسود على جسم التمثال[٢]. وإذا أمكن فهم تلوين الرداء باللون الأبيض تعبيراً عن لونه الأصلي المصنوع من النسيج الأبيض، وهو لون الثياب الذي يتناسب مع طبيعة البيئة الحارة، إلا أنه يصعب معرفة الهدف من تلوين الجسم باللون الأسود على وجه اليقين في ظل عدم وجود نصوص مكتوبة تتحدث عن ذلك. فهل قصد الفنان الإشارة إلى اللون الأصلي لصاحب التمثال؟ أم أن هناك غرضٌ آخر، حيث يرمز اللون الأسود إلى البعث والخصوبة في بعض الحضارات القديمة. فاللون الأسود هو لون العالم السفلي المظلم عند قدماء المصريين[٣]. وقد وصف المعبود أوزير بالأسود (Kmy) باعتباره رباً للعالم السفلي المظلم وسيداً للموتى[٤]، ولُون هذا المعبود باللون الأسود، ربما لارتباطه بفكرة الخصوبة والبعث من الموت التي كان يرمز إليها اللون الأسود. ودلاله اللون الأسود للحياة والخصوبة ربما نبع من ملاحظة المصري القديم لتراكم الغرين الأسود الخصب نتيجة غمر الفيضان للأرض المصرية سنوياً مما يؤدي لخروج النبت الأخضر (رمز الحياة) من الأرض التي كانت ميتة خلال فصل النمو[٥].

وقد يُعَّزز هذا الاحتمال ما سيرد ذكره في الجزء الخاص بالشواهد في النصوص العربية القديمة، من وجود أسماء لحيانية ربطت بين اسم صاحبها وبين اسم المعبودة إيزيس زوجة أوزير برابطة البنوة والعبودية[٦]، إضافة إلى احتمال تداخل اسم المعبود

---

(١) للمزيد عن هذه التماثيل انظر: السعيد، سعيد؛ عمار، حسني، «التماثيل الحجرية»، في: **كنوز أثرية من دادان، نتائج تنقيبات المواسم السبعة الأولى**، دراسات آثارية ميدانية (١) سلسلة علمية محكمة تصدرها الجمعية السعودية للدراسات الأثرية، الرياض، ١٤٣٤-١٤٣٥هـ/ ٢٠١٣-٢٠١٤م، ص ص ٢٢٣- ٢٤٩.

(٢) السعيد، سعيد؛ وعمار، حسني، «التماثيل الحجرية»، ص ٢٣٩.

(3) Robins, J., «Color Symbolism», The Oxford Encyclopedia of Ancient Egypt I, Edited by Donald Redford, Oxford 2001, pp. 291ff.

(4) Griffiths, J., The Origins of Osiris and his cult, Leiden 1980, p13.

(5) Quirke, S., Ancient Egyptian Religion, London, 1992, p.16.

(٦) السعيد، سعيد ، **العلاقات الحضارية بين الجزيرة العربية ومصر في ضوء النقوش العربية القديمة**، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م، ص ٦٣؛

أوزير نفسه في اسم شخصي في أحد النقوش الثمودية بتيماء[١]، وإن اختلفت الآراء حول مدى صحة قراءته[٢]. مما سبق يمكن افتراض أن تلوين بعض التماثيل الملكية اللحيانية باللون الأسود، قد يدل على تأثرهم بالعقيدة الأوزيرية[٣].

تمثال حور با غرد من الحِجر (مدائن صالح):

كشفت بعثات التنقيب بجوار مقابر مدائن صالح عن بقايا منطقة سكنية قديمة، تعود إلى عصور مختلفة من الاستيطان البشري، وذلك في الموقع السهلي المسمى «خريبة الحجر»[٤]، وكشفت الحفائر في هذه المنطقة عن عدد كبير من المعثورات واللقى الأثرية، كان من بينها أربعة تماثيل فخارية صغيرة، لبعض من المعبودات المصرية القديمة[٥]، وهي المعبودة «سخمت» الممثَّلة في هيئة إمرأة برأس لبؤة، والمعبود «بس» في هيئة القزم برأس الأسد، و الربة «واجيت» حامية مصر السفلى بشكل حية الكوبرا، والمعبود حور با غرد (حوربوقراط)[٦]. وتُؤرخ هذه التماثيل بالفترة ما بين القرن الأول قبل الميلاد والقرن الأول الميلادي. ويدل تنوع تلك التماثيل الفخارية، على أن تأثيرات العقائد الدينية المصرية في الجزيرة العربية، لم يقتصر فقط على الثالوث الأوزيري. وترجع أهمية تلك التماثيل الصغيرة إلى أنها تدل على وجود علاقات قوية بين الأنباط في مدائن صالح وبين المصريين القدماء. ووجودها في المنطقة السكنية يشير إلى أن بعض سكان هذه المنطقة كانوا يعتقدون في الأسطورة الأوزيرية سواء كانوا من سكان الجزيرة أو من المتعاملين معهم من التجار المصريين. والجدير بالذكر أن بعض واجهات مقابر الأنباط بالبتراء، احتوت على عناصر زخرفية مأخودة مباشرة عن رموز دينية مصرية

(1) Macdonald, M.C.A., «HU 501 and the Use of S3 in Taymanite», JSS 36, 1991, pp. 11-36.

(٢) السعيد، سعيد ، المرجع السابق، ص ص ١٢٩-١٣٠.

(٣) لونت بعض التماثيل الملكية في مصر القديمة باللون الأسود مثل تمثال الملك «منتوحتب نب حبت رع» من الأسرة الحادية عشر، وظهر الملك «أمنحوتب الثاني» في تمثاله أمام المعبودة حتحور باللون الأسود، وكذلك مُثِّل الملك «توت عنخ آمون» من الأسرة الثامنة عشر.

(٤) البراهيم، محمد، والطلحي، ضيف الله، «تقرير مبدئي عن حفرية الحجر، الموسم الأول»، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م، ص ٥٧ – ٦٨؛ الطلحي، ضيف الله، «تقرير مبدئي عن نتائج حفرية الحجر – الموسم الرابع، ١٤١١هـ/ ١٩٩٠م»، **أطلال**، ع ١٤، ١٤١٦هـ / ١٩٩٦م، ص ص ٢٤ – ٢٥.

(٥) علي، جمال الدين، «تقرير عن نتائج حفرية الخريبة الجنوبية بالحجر – الموسم الثالث، ١٤١٠هـ»، **أطلال**، ع ١٣، ١٤١١هـ/ ١٩٩٠م، ص ٣٠.

(٦) البراهيم، محمد، الطلحي، ضيف الله، المرجع السابق، ص ٦٦ – ٦٧. لم أتمكن من الحصول على صورة هذا التمثال لحور الطفل.

قديمة، لم يعثر على نظائر لها في واجهات مقابر الحِجر كان منها بعض هيئات ورموز المعبودة إيزيس[١].

تماثيل لإيزيس وحور با غرد من الفاو:

يُعدُّ موقع آثار الفاو[٢] من أهم المواقع الأثرية التي وُجدت بها شواهد أثرية واضحة تدل على تواجد الثالوث الأوزيري، ولا سيما المعبودة «إيزيس» والمعبود «حورس». فقد عُثر في هذا الموقع على ثلاث قطع فنية مشكَّلة من الفخار المزجج، إحداها كاملة، وهي تُمثِّل المعبودة إيزيس تحمل ابنها المعبود حور الطفل. والقطعة الثانية تبقَّى منها رأس إيزيس ورأس حورس. ولم يتبق من القطعة الثالثة سوى وجه إيزيس فقط. هذا فضلاً عن التمثال المتميز لحور الطفل[٣]. وتُؤرخ هذه القطع بالفترة الممتدة من القرن الثالث قبل الميلاد، وحتى القرن الأول الميلادي. وفيما يلي وصف لبقايا هذه التماثيل:

تمثال صغير مُشكَّل من الفخار المزجج باللون الأخضر المائل للزرقة (رقم سجله ٢٤١ الفاو موسم ٨)، يبلغ ارتفاعه حوالي ٢٠ سم، عُثِرَ عليه في الغرفة رقم ٣ من المربع C.١٥ بالمنطقة السكنية بالفاو. يصور التمثال إمرأة واقفة، تحمل طفل بذراعها الأيسر، وعلى جيدها ما يشبه العقد. يقف التمثال على قاعدة مجوفة من نفس عجينة الفخار المزجج. وكانت رأس التمثال مفصولة عن الجسم، وأعيد ترميمها. بناء على هيئة

---

(١) السليم، فهد، **الزخارف المعمارية النبطية، التصنيف والمعاني**، رسالة دكتوراه غير منشورة، قسم الآثار والمتاحف، كلية الآداب، جامعة الملك سعود، ١٤٢٣هـ /٢٠٠٣م، ص ٢١٢؛ عن الوحدات الزخرفية المصرية في المقابر النبطية: أبو العطا، محمد، «وحدة «الكورنيش المصري» الزخرفية في واجهات مقابر مدائن صالح بالجزيرة العربية»، **كتاب مؤتمر الآثاريين العرب الرابع عشر**، القاهرة، ٢٠١١م، ص ص ٢١٠-٢٣٣.

(٢) كانت الفاو العاصمة الأولى لمملكة كندة في عهدها الأول. وهي واحدة من أهم المواقع الأثرية بوادي الدواسر في منطقة الرياض. وتقوم أطلال قرية الفاو على أطراف الحافة الشمالية الغربية للربع الخالي، وتبعد حوالي ٧٠٠ كم إلى الجنوب الغربي من مدينة الرياض، وحوالي ١٥٠ كم جنوب شرق الخماسين عاصمة وادي الدواسر. للمزيد انظر: الأنصاري، عبد الرحمن الطيب، **قرية الفاو صورة للحضارة العربية قبل الإسلام في المملكة العربية السعودية**، الرياض، ١٤٠٢هـ، ص١٦؛ **سلسلة آثار المملكة العربية السعودية، آثار منطقة الرياض**، ص١١١؛ طيران، سالم أحمد، «قرية الفاو في مساند جنوب الجزيرة العربية»، في: **دراسات في تاريخ الجزيرة العربية وحضارتها**، الرياض، ١٤٢٨هـ، ص١٦١.

(٣) عُثر في قرية الفاو على مجموعة هامة من التماثيل التي دلت على براعة فنانيهم في مجال الفنون التشكيلية، والتي شملت التماثيل المعدنية والحجرية والطينية والخزفية. عن فنون الفاو انظر: الحديثي، فوزية، **الرسوم الجداريه في قرية الفاو دراسة فنية تحليلية**، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الملك سعود، ١٤٢٩هـ؛ السنان، مها، **الفنون المعدنية من قرية الفاو، دراسة فنية مقارنة**، رسالة دكتوراه غير منشورة، قسم الآثار، كلية السياحة والآثار بجامعة الملك سعود، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م.

التمثال، يُرجَّح أنه يمثل المعبودة المصرية إيزيس، حاملة طفلها المعبود حور (لوحة ٥).

بقايا تمثال مُشكَّل من الفخار المزجج باللون الأخضر الضارب إلى الزرقة (رقم سجله ٣٥ الفاو موسم ٧)، عُثِّر عليه في الغرفة رقم ٢ بالظاهرة الأثرية رقم ٣٣ بالفاو. تبقى من التمثال الرأس والرقبة، بارتفاع ٨,٧ سم. تميزت رأس التمثال باستطالة الوجه، ويمكن تحديد ملامحها (الأنف والفم والعينين)، وإن تحطمت بعض أجزائها. الرأس مسطحة من الخلف، ويعلوها تاج. وبقي على الجانب الأيسر للرأس الجزء العلوي من تمثال صغير كان محمولاً على الذراع الأيسر. بناء على هيئة ما تبقى من هذا التمثال، وبالمقارنة مع المثال السابق، يرجح أنه يصور المعبودة إيزيس، وهي تحمل ابنها المعبود حور (لوحة ٦).

ولم يتبق من القطعة الثالثة سوى وجه تمثال من الفخار المزجج، لونها أخضر مائل للأزرق، ارتفاعها ٥ سم، عُثر عليه أيضاً بالمنطقة السكنية بالفاو (رقم سجله ٤٥٩ الفاو موسم ٦). وعلى الرغم من صعوبة تحديد ماهية هذه القطعة نظراً لصغر حجم الجزء المتبقي من التمثال، إلا أن ملامح الوجه تشبه إلى حد ما ملامح وجه القطعة السابقة، مما يُحتمل أنها تمثل المعبودة إيزيس (لوحة ٧).

ومن أبرز التماثيل المعدنية بالفاو، ذلك التمثال المصنوع من البرونز، ارتفاعه ١٢,٥ سم. والذي يمثل طفل مجنح وعلى رأسه التاج المزدوج، الذي كان يرتديه الملوك المصريين القدماء، ويمسك بيده اليسرى قرن به عنقود عنب. والقرن رمز من رموز العديد من المعبودات الإغريقية وارتبط بالخير والخصب والعطاء (لوحة ٩).

يتميز التمثال على الرغم من صغر حجمه، بدقة وجمال ملامح وجهه، فضلاً عن الاهتمام بتفاصيل الجناحين. كما أن حركة الساقين، أضفت عليه حيوية. شُكل هذا التمثال بطريقة الصب بمهارة عالية ، حيث لا تُوجد على سطحه أية آثار للطرق بالأزميل أو غير ذلك[1]. وكانت هيئة الطفل المجنح عنصراً فنياً شائعاً في فنون الشرق الأدنى القديم لاسيَّما الفنون المصرية القديمة. ويعكس هذا العمل الفني إلى جانب

(١) الأنصاري، عبد الرحمن الطيب، المرجع السابق، ص ٢٥-٢٦.

غيره من التماثيل المعدنية المكتشفة بالفاو، الذوق الفني الرفيع لسكان هذا الموقع. وقد شاع تصوير هذا المعبود في الفنون الهلينستية على هيئة طفل ممتلئ، يضع سبابة يده اليمنى نحو فمه، حاملاً في يده قرن الخصب[١].

يصور التمثال المعبود حور بوقراط (حور الطفل) بملامحه الهلينية، وحور بوقراط هو المكافئ للمعبود المصري حور الطفل المنتقم لأبيه. مُثل الطفل عارياً، ويضع سبابة يده اليمني باتجاه فمه، ويتدلي شعره على جانبي رأسه[٢]. وهذه الهيئة تصور المعبود حوربوقراط بأسلوب هلينستي، وينتمي إلى مدرسة الفن السكندري على أيام البطالمة.

والسؤال الذي يطرح نفسه كيف يمكن تفسير عمق الصلات بين الفاو الواقعة في قلب الجزيرة العربية ومصر القديمة؟ فهل كان هناك استقطاب لفنانين مصريين في ذلك الموقع الذي وُجدت فيه آثار للثالوث الأوزيري، حيث لم يقتصر التواجد المصري على ذلك فقط في هذا الموقع[٣]. عموماً لا يُستبعد أن بعض من هذه الشواهد مجلوب من مصر، إلا أنه في ذات الوقت هناك ما يشير إلى أن بعضها مشكل في مواقعها ولا

(١) السنان، مها، المرجع السابق، ص ١٢٤.

(٢) تميزت تماثيل الأطفال وصورهم، التي ظهرت منذ عصر الأسرات المبكر، واستمرت حتى أواخر العصور التاريخية القديمة، بصفة عامة بثلاث خصائص. أولها ظهور الأطفال عراة في أغلب الأحيان. ويبدو أن الفنان قد التزم بهذا التقليد الفني، الذي بدأ منذ عصر الأسرة الأولى في تماثيل الأطفال العارية، سواء كانت جالسة أو واقفة. وربما حافظ الفنان في عصوره المتعاقبة على عرى الأطفال عن عمد، ورغبة منه في التعبير عن فكرة الطفولة بوجه عام، والتأكيد على حداثة السن. وذلك بالإضافة إلى الخاصية الثانية والثالثة وهما جعل سبابة اليد اليمنى أو اليسرى أحياناً نحو الفم، وخصلة الشعر على الجانب؛ صالح، عبد العزيز، **التربية والتعليم في مصر القديمة**، ص٣٥، ٣٦. وربما أرادوا التعبير بالعرى عن بساطة الطفولة بوجه عام، وما يتصوره الأبوان فيها من براءة وسذاجة ؛ صالح، عبد العزيز، **الفن المصري القديم**، ص٢٩١؛ ويشير وضع الطفل لأحد أصابع اليدين وبخاصة السبابة على الفم إلى عملية مص الأصابع. وهى ظاهرة سلوكية عادية وغير موجهة، يقوم بها الطفل عشوائياً في مراحل الطفولة المبكرة. وقد تستمر حتى بداية مرحلة الشباب في بعض الأحيان القليلة، وهى من أكثر عادات الطفولة شيوعاً بينهم (الوشاحي، مفيدة، «دارسة مص الأصابع في الفن المصري القديم»، في **كتاب الملتقى الثالث للاتحاد العام للآثاريين العرب، دراسات في آثار الوطن العربي**، الجزء الأول، القاهرة، ٢٠٠٠م، ص ٥٥٧). ولذا فقد حرص الفنان المصري على أن تكون هذه العادة السلوكية من أهم مميزات صور وتماثيل الأطفال على مر العصور التاريخية القديمة. وعلى الأرجح أن خصلة الشعر الجانبية هي تعبير عن واقع اهتمام الأبوين والأم بشكل خاص بتصفيف وتضفير شعر الأطفال الصغار، للحفاظ على نظافتهم وجمال مظهرهم. وجدير بالذكر أن الكتاب اتخذوا من صورة الطفل العاري الذي يتخذ وضع الجلوس على حجر أمه، والذي يضع سبابة يده اليمنى أو اليسرى على فمه، مخصصاً لكل الكلمات التي تعبر عن حداثة السن في اللغة المصرية، وذلك عند الإشارة إلى الرضيع، وإلى الطفل، وإلى الغلام، وإلى الشاب. وبمعنى آخر حين التعبير عن كل المراحل العمرية التي يكون الشخص فيها أقل من رجل صالح، عبد العزيز، **التربية والتعليم في مصر القديمة**، ص٤٢.

(٣) السنان، مها، المرجع السابق، ص ٣٤. لم تقتصر الشواهد الأثرية الدالة على عمق التواصل الحضاري بين الفاو ومصر على التماثيل سابقة الذكر، بل إن التمثال الذي اصطلح على تسميته بالتمثال الخاشع والمصنوع من البرونز والذي عُثِّر عليه في المعبد، و يُمثل رجلاً جالساً على ساقيه ويبسط يديه على فخذيه في وضع تعبدي قريب الصلة بهيئة بعض المتعبدين في مصر القديمة التي ظهرت منذ عصر بداية الأسرات في مصر (تمثال حتب دي إف) واستمرت حتى العصر المتأخر (تمثال إيمحتب).

سيما ما شُكل منها من الفخار المزجج. ويدل تعدد الشواهد على وجود الثالوث الأوزيري على قدر كبير من التسامح الديني من قبل سكان الفاو بسماحهم لغيرهم بمخالفتهم في الاعتقاد. وفي نفس الوقت، لا يمكن استبعاد أن بعض من أصحاب هذه الشواهد، ربما كانوا من التجار أو حاملي المراسلات[1].

رأس لأوزير من الزلفي:

عُثر على رأس آدمية، مشكلة من البرونز، في موقع أثري بمحافظة الزلفي بمنطقة الرياض، بوسط الجزيرة العربية[2]. ارتفاعها ٢,٤سم، وعرضها ٢,٠٤سم (لوحة ٨). وهذه الرأس عبارة عن دلاية قد تمثل المعبود أوزير (الرأس والصدر). شُكِّلت الرأس بحيث يكون أحد جانبيها مسطحاً ومستوياً وبدون تفاصيل، ليكون ملاصقاً للصدر عندما يرتديها صاحبها. أما الجانب الآخر من الدلاية فيمثل المعبود أوزير مرتدياً تاج «الآتف- 3tf»، وهو التاج الذي غالباً ما يكون أوزير متوجاً به في الصور والتماثيل، كما يرتديه الملوك عندما يصوروا في هيئة هذا المعبود. وتاج الآتف مركب من التاج الأبيض وتحيط به من الأمام والخلف ريشتان مزخرفتان بخطوط أفقية محفورة لتعبر عن ماهية ما تمثله. ارتفاع التاج من الخلف ٢,٥سم، ومن الأمام ١,٦سم. ويوجد في أعلى الريشة الأمامية ثقب قطره ٠,١٨سم، كان يستخدم لتثبيت الدلاية وتعليقها بخيط أو سلك معدني حول الرقبة. يظهر من ملامح الجانب الأيسر من الوجه صفحة الخد والفك والعين اليسرى وجانب الأنف. كما بقي أعلى الجبين بروز صغير. ويزين الصدر قلادة «الأوسخ» وهي مشكلة بأربعة خطوط محفورة وبدون تفاصيل دقيقة لمكوناتها.

مُثِّل الوجه والرأس والرقبة من الجانب، في حين مُثِّلت العين والحاجب من الأمام، كما صُوِّر الصدر من الأمام. ويتفق هذا الأسلوب في تصوير الهيئة الآدمية مع قواعد

(١) السنان، مها، المرجع السابق، ص ٨٠.

(٢) عثر على هذه الدلاية الأستاذ خليف بن عبد الرحمن العيد، أحد مواطني محافظة الزلفي، ضمن مجموعة لقى أثرية أخرى، كان منها تميمة على هيئة جعران. وجاءت بعض هذه اللقى من مقبرة، وبعضها الآخر من الطبقة السطحية. ويعمل حالياً الأستاذ الدكتور سليمان الذييب على دراسة هذه المجموعة من اللقى الأثرية، وستنشر في كتاب عن محافظة الزلفي.

الفن المصري القديم، الذي حرص الفنان على الالتزام بها لتصوير الأشكال من الناحية التي تظهرها واضحة تمام الوضوح، وتحفظ لها أهم خصائصها، بغض النظر عن قواعد المنظور[١].

ثانياً: الشواهد في النصوص العربية القديمة:

تحمل الأسماء الشخصية في أغلب المجتمعات وعلى مر العصور، بين طياتها العديد من الدلالات الاجتماعية والدينية. وقد ظهر ذلك بجلاء في حضارة مصر والجزيرة العربية منذ العصور التاريخية القديمة وحتى يومنا هذا. فعلى نحو ما يُعتقد في أن خير الأسماء ما حُمِّد وعُبِّد، كشفت النصوص القديمة في كلا الحضارتين عن العديد من الأسماء الشخصية التي ربطت بين اسم الشخص واسم من يعتقد فيه بالألوهية[٢]. ومثال ذلك أسماء عبد شمس وعبد اللات وعبد مناة في الجزيرة العربية. وكان الثالوث الأوزيري أوزير وإيزيس وحور من أكثر تلك المعبودات التي تداخلت في الأسماء الشخصية في مصر القديمة، نظراً لانتشار عبادتهم بين ربوع الأرض المصرية وبين كل طبقات المجتمع. ولم يقتصر ذلك الأمر على حدود الدولة المصرية، وإنما كان له صدى عند أصحاب الحضارات المعاصرة التي ارتبطت مع مصر بصلات قوية، ومنها الجزيرة العربية بطبيعة الحال.

فقد احتوت النصوص القديمة في الجزيرة العربية على بعض الأسماء التي ربطت بين أصحابها وبين مصر من ناحية، أو بينهم وبين بعض المعبودات المصرية من ناحية أخرى. فهل دل ذلك على وجود مصريين في تلك المناطق؟، أم أنها أسماء لبعض سكان المنطقة تأثراً بالأسماء المصرية ودليلاً على التواصل الثقافي والحضاري؟ وفيما يلي نماذج لأسماء شخصية من الجزيرة العربية، مرتبطة بالثالوث الأوزيري:

وُجد نقش آرامي على مسلة من تيماء، مؤرخ بالقرن السادس قبل الميلاد، ورد به

---

(١) توفيق، سيد، **تاريخ الفن في الشرق الأدنى القديم، مصر والعراق**، القاهرة، ١٩٨٧م، ص ١١٣.

(٢) صالح، عبد العزيز، **الأسرة المصرية في عصورها القديمة**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٨م، ص ص٨٧-٩٥؛ الذييب، سليمان، **نقوش جبل أم جذايذ النبطية، دراسة تحليلية**، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، ٢٠٠٢م، ص ص ٢٥-٢٩.

ذكر لاسم كاهن مصري «ف ط س ري» مما يؤكد على وجود روابط ثقافية ودينية[١] ويرى أصحاب هذا الاتجاه أن هذا الاسم هو تحريف لاسم «با دي أوزير» بمعنى عطية أو هبة أوزير[٢]. وهناك من يرى أن هذا الاسم ربما يكون تحويراً لاسم «با تا رسي»، والذي يعني المنتمي للأرض الجنوبية[٣].

كما ارتبطت بعض أسماء نحاتي مقابر مدائن صالح باسم المعبود حور صراحة، بعضها مؤرخ بالقرن الأول قبل الميلاد والقرن الأول الميلادي، مثل «حورو بر عبيشت» بمعنى حور بن عبيشة، والمؤرخ ٣٠-٢٠ ق.م. ومثل «حورو بر أحيو» بمعنى حورو بن أحيو، والمؤرخ بعام ٢٧م[٤]. وفي هذا دلالة على أن عبيشة وأحيو النحاتين، قد أسمى كل منهما أحد أبنائهما باسم المعبود حور؟ وذلك إذا صح بالفعل أن المقصود بالاسم هنا هو حور المعبود المصري القديم، وليس الصقر نفسه، على اعتبار أن الحُر أحد أسماء الصقر في اللغة العربية.

وورد اسم المعبودة إيزيس في نقشين معينين لنفس الشخص بالعلا: عبد (خادم) إيزيس (ع ب د أ س) من قبيلة قابل (ذ ق ب ل) (النقش Ja 2324h من العلا)[٥] دليل على أن أفراد هذه القبيلة ربما ساهمت في نقل التجارة وتأثروا بالمعتقدات الدينية المصرية، وعلى وجه التحديد بالعقيدة الأوزيرية.

ولم تخلو النقوش الثمودية من اسم المعبودة إيزيس، حيث عُثر على نقش من جبل تبحر بتبوك جاء فيه اسم شخص يربط بينه وبين اسم المعبودة إيزيس برابطة البنوة. وكُتب النقش بجوار صورة جمل كما يلي: (ل ب ن أ ث)، وقد ترجم النص مع صورة

(1) Gadd, C.J., «The Harran Inscriptions of Nabonidus», Anatolian Studies 8, 1958, pp.79-80.

(٢) السعيد، سعيد، العلاقات الحضارية بين الجزيرة العربية ومصر في ضوء النقوش العربية القديمة، الرياض، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣، ص ص ١٢٩-١٣٠.

(٣) ينسب الأستاذ الدكتور سليمان الذييب هذا الرأي للأستاذ الدكتور أحمد عيسى، انظر: الذييب، سليمان، **نقوش تيماء الآرامية**، الطبعة الثانية، الرياض، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م، ص ١٥٣.

(٤) الفاسي، هاتون، **الحياة الاجتماعية في شمال غرب الجزيرة العربية في الفترة ما بين القرن السادس قبل الميلاد والقرن الثاني الميلادي**، الرياض، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م، ص ص ٢٠٦-٢٠٨؛ عن نحاتي مقابر مدائن صالح يمكن الرجوع إلى: أبو العطا، محمد، «الأساليب الفنية المميزة لنحاتي واجهات المقابر الصخرية في الحجر (مدائن صالح)»، **سلسلة مداولات علمية محكمة للقاء السنوي للجمعية السعودية للدراسات الأثرية**، الرياض، ٢٠١٣م، ص ص ١٤٧-١٨٥.

(٥) السعيد، سعيد، المرجع السابق، ص ص ٥٤-٥٥، النقش: ١٣، ١٤.

الجمل كما يلي: الجمل يخص بن (ولد) إيزيس[١]. كما عُثر على نقش بجبل طويق المطل على موقع الفاو باسم «ع ب د إ ي س ي» ربما بمعنى عبد إيزيس[٢].

وفي النقوش اللحيانية، ورد اسم المعبودة إيزيس في ثلاثة نقوش بمنطقة العذيب بشمال العلا، لأشخاص حمل كل منهم اسم «ع ب د أ س» وهو اسم مركب بمعنى عبد أو خادم إيزيس[٣]. كما عُثر على نص لسيدة اسمها «أ م ت أ س» بمعنى «أمة إيزيس»، والذي يعني خادمة إيزيس[٤].

ولم يكن كتابة اسم المعبودة إيزيس بالشكل المختصر (أس) في الكتابات العربية القديمة، أمراً فريداً، حيث اشتُق من الاسم المصري القديم «إيسة». والمعروف أن التاء الأخيرة في الاسم للتأنيث. وجدير بالذكر أن نفس الاسم كُتب بدون تاء التأنيث في آخر مراحل اللغة المصرية، وهي المرحلة القبطية، فضلاً عن أنها كُتبت أيضاً بدون التاء في اللغة اليونانية[٥]. هذا فضلاً عن ظهور اسم إيزيس في كل من اللغة الفينيقية [٦] والآرامية[٧] بدون التاء.

ويتضح مما تقدم أنه نظراً لما قامت به الجزيرة العربية من دور تجاري هام في نقل السلع والمنتجات الضرورية للمعابد المصرية، فلم يكن مستبعداً وجود بعض المصريين في بعض المحطات التجارية لسبب أو لآخر شأنهم في ذلك شأن بقية شعوب الشرق الأدنى التي ارتبطت بالجزيرة العربية تجارياً وحضارياً. غير أنه كان تواجداً محدوداً، ولم يصل إلى مرحلة تشكيل جاليات مصرية في هذه المواقع على غرار الجاليات اليونانية التي تشكلت في بعض بلدان الشرق الأدنى خلال العصر الهلينستي.

(١) السعيد، سعيد، المرجع السابق، ص ٦١.

(٢) السعيد، سعيد، المرجع السابق، ص ٥٧؛ الذييب، سليمان، **منطقة الرياض، التاريخ السياسي والحضاري القديم**، مكتبة الملك فهد، الرياض، ٢٠٠٧، ص ٧٤.

(٣) أبو الحسن، حسين، **قراءة لكتابات لحيانية من جبل عكمة بمنطقة العلا**، الرياض، ١٤١٨هـ، النقش ٤٩: ١، ٩٨: ١، السعيد، سعيد، المرجع السابق، ص ٦٣.

(٤) السعيد، سعيد، المرجع السابق، ص ٦٤.

(5) Wb., IV, 8.

(6) Benz, F., Personal Names in the Phoenician and Punic Inscriptions , Studia Pohl 8, 1972, p.149.

(7) Maraqten, M., Die Semitischen Personennamen in den alt und reichsaramäischen Inschriften aus Vorderasien, Texte und Studien zur Orientalistik 5, Hildesheim 1988, 192.

النتائج:

يتضح من خلال الشواهد الفنية والنصية التي تمت دراستها، ظهور العقيدة الأوزيرية في مناطق متفرقة من الجزيرة العربية. ولم يقتصر ذلك التواجد على مواقع شمال غرب الجزيرة القريبة من مصر، وإنما امتد ليشمل مواقع من وسط الجزيرة العربية (الفاو- الزلفي). وتدل تلك الشواهد على أن بعض سكان الجزيرة العربية اعتقدوا في «أوزير» و«إيزيس» و«حور»، بدليل تداخل اسم المعبودة إيزيس وحور في بعض الأسماء الشخصية. وأغلب تلك الشواهد والنصوص هي أعمال محلية الصنع، وليست مجلوبة من مصر، باستثناء تمثال حور الطفل بالفاو والدلاية التي جاءت من الزلفي، فربما جاءت من خارج الجزيرة العربية، وذلك نظراً لتطور مستواها الفني مقارنة بالمعثورات الأخرى التي جاءت من نفس المواقع.

لم يكن التأثير المصري في الجوانب العقائدية مقتصراً على الثالوث الأوزيري، ولكن وُجدت شواهد تدل على وجود رموز لمعبودات أخرى مثل: «سخمت» و« واجيت » و«بس» وغيرها. ويدل كل ما سبق على انفتاح الجزيرة العربية على ثقافات وعقائد الشعوب المجاورة بصفة عامة، والمصرية منها بصفة خاصة. وكما يشير وجود الثالوث الأوزيري في عدد من المواقع الأثرية بالجزيرة العربية، إلى قدر كبير من التسامح الديني من قبل سكان تلك المواقع بسماحهم لغيرهم بمخالفتهم في الاعتقاد.

شكر: يتقدم الباحث بالشكر لمركز البحوث بكلية السياحة والآثار ولعمادة البحث العلمي بجامعة الملك سعود على الدعم المادي لهذا العمل البحثي ، وختاماً خالص الشكر لكل من قدم لي يد العون في جمع هذه الشواهد الأثرية من الزملاء بقسم الآثار بجامعة الملك سعود، وأخص بالذكر كل من الأستاذ الدكتور سليمان بن عبد الرحمن الذييب، والأستاذ الدكتور سعيد بن فايز السعيد، والدكتور محمد الذيبي، والأستاذ فؤاد العامر، والأستاذ سعيد ظافر الأحمري.

اللوحات

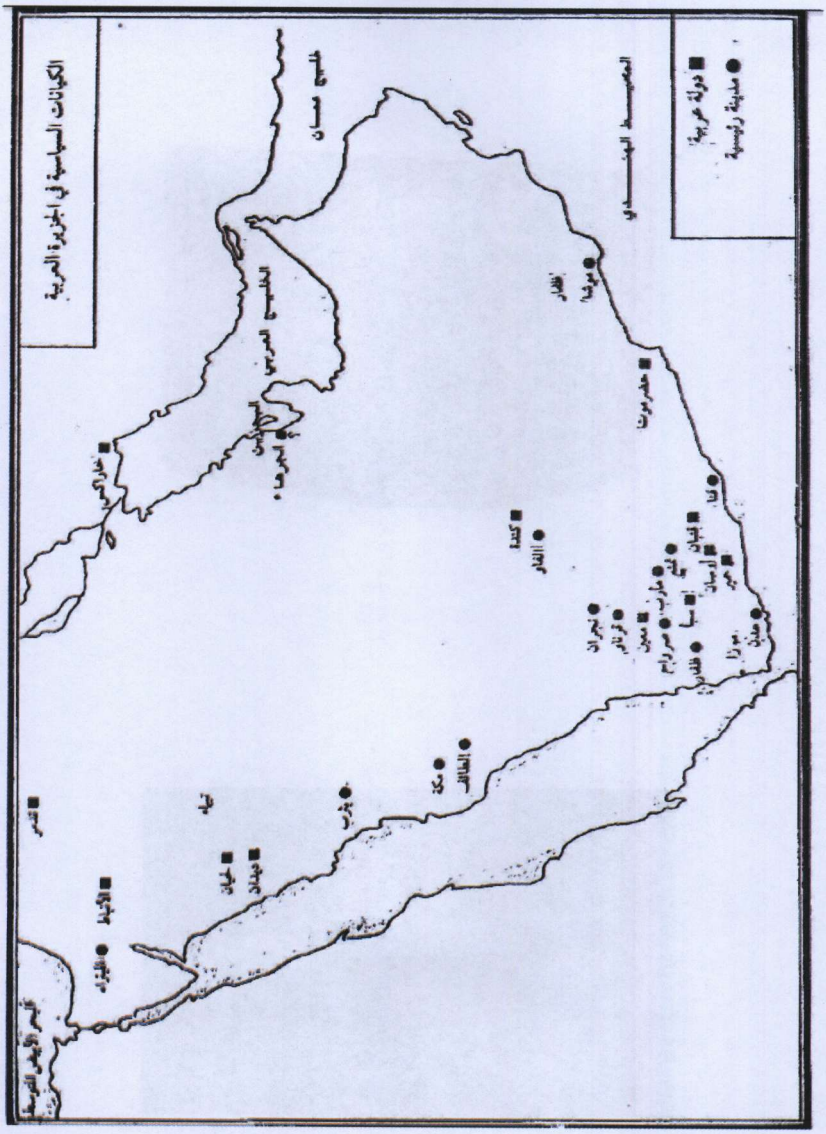

(لوحة ١): خريطة بالكيانات السياسية والمواقع الأثرية القديمة في الجزيرة العربية، نقلاً عن: أبو الحسن، حسين، قراءة لكتابات لحيانية من جبل عكمة بمنطقة العلا، مكتبة الملك فهد، الرياض، ١٩٩٧م.

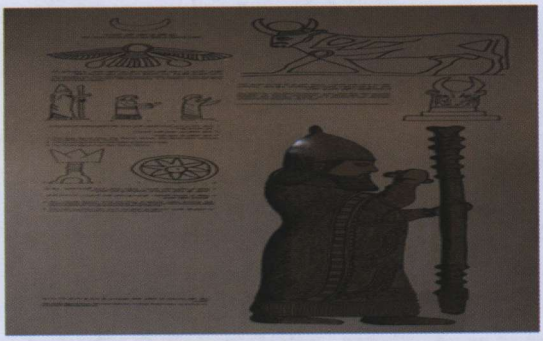

(لوحة ٢): حجر تيماء المكعب، الذيبي، محمد بن عائل، «الرموز المنقوشة على المذبح الحجري المكعب من تيماء ودلالاته الحضارية»، اللوحة رقم ٣.

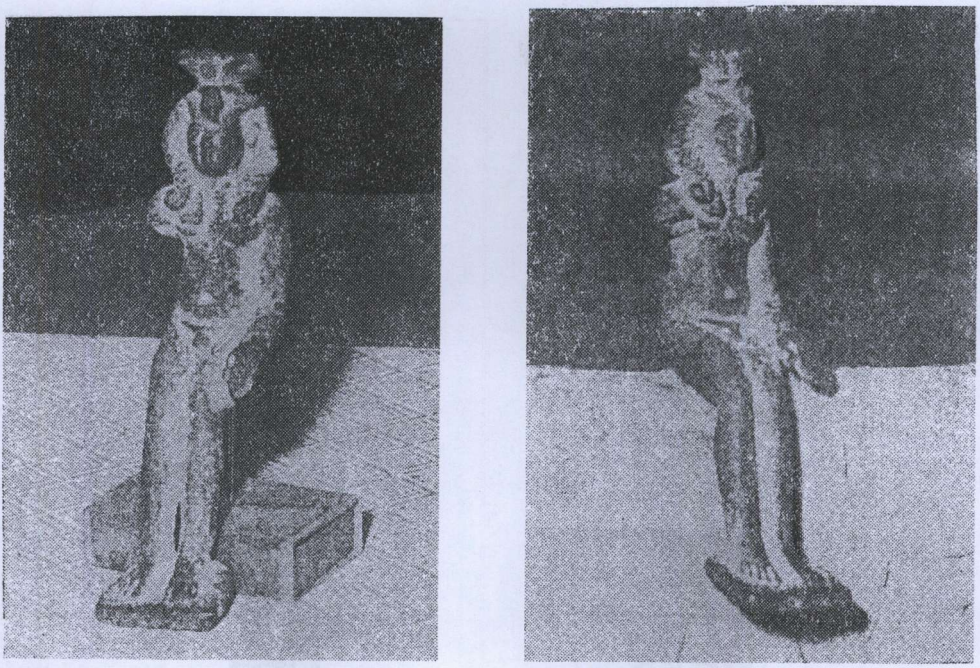

(لوحة ٣): تمثال من البرونز لملك جالس

Saleh, A., «Some Monuments of North-Western Arabia in Ancient Egyptian .Style», fig. 4a-b

(لوحة ٤): بقايا اللون الأسود على التماثيل الملكية بدادان، السعيد، سعيد، عمار، حسني، «التماثيل الحجرية»، في: كنوز أثرية من دادان، **نتائج تنقيبات المواسم السبعة الأولى**، لوحة ٤ب، ٨ب، ٩أ.

(لوحة ٥): تمثال لإيزيس تحمل طفلها حور من الفخار المزجج من الفاو- متحف الآثار بجامعة الملك سعود

(لوحة ٦): جزء من تمثال لإيزيس تحمل طفلها حور من الفخار المزجج من الفاو- متحف الآثار بجامعة الملك سعود

(لوحة ٧): رأس لإيزيس من الفخار المزجج من الفاو

متحف الآثار بجامعة الملك سعود

(لوحة ٨): رأس لأوزير من الزلفي

تصوير الأستاذ فؤاد العامر

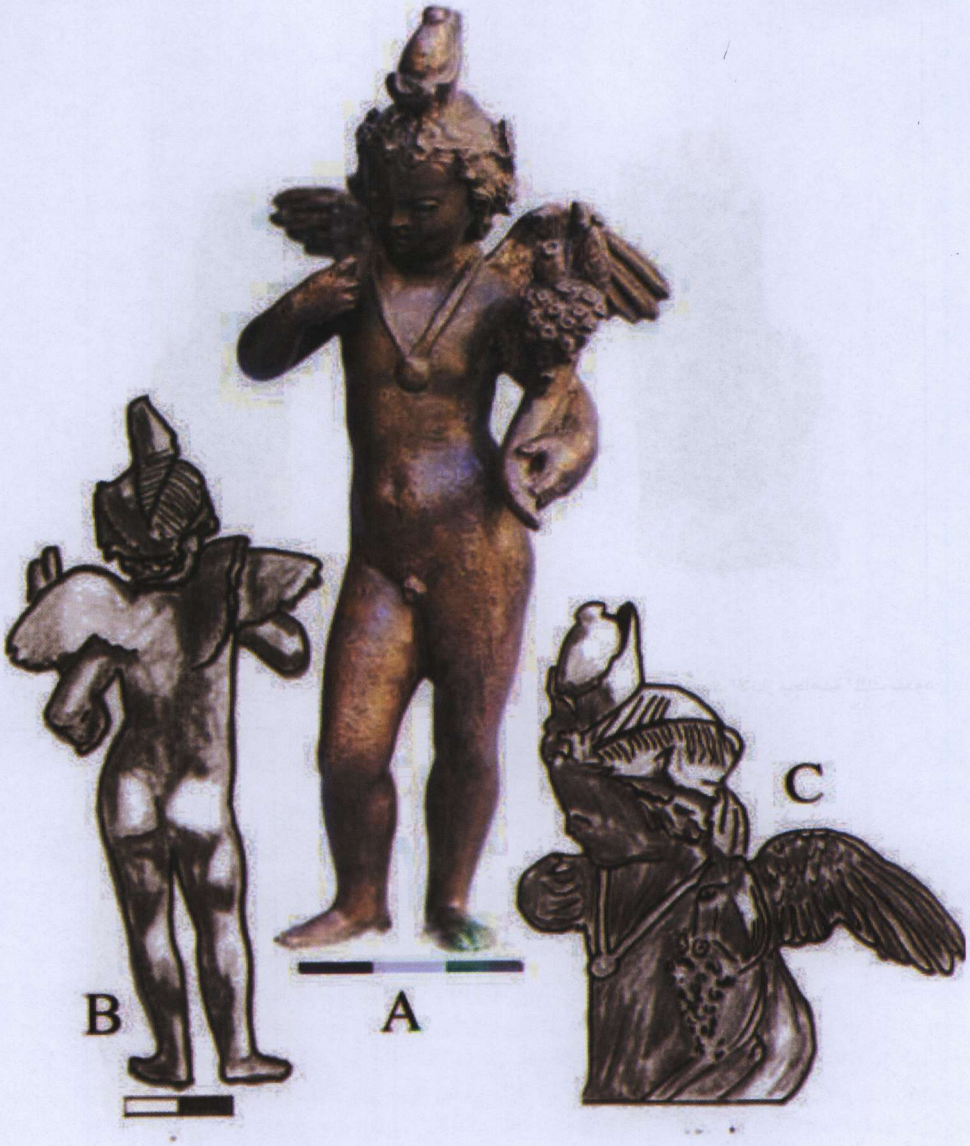

(لوحة ٩): حور الطفل من الفاو- متحف الآثار بجامعة الملك سعود، عن: السنان، مها، **الفنون المعدنية من قرية الفاو**، شكل ١٩.